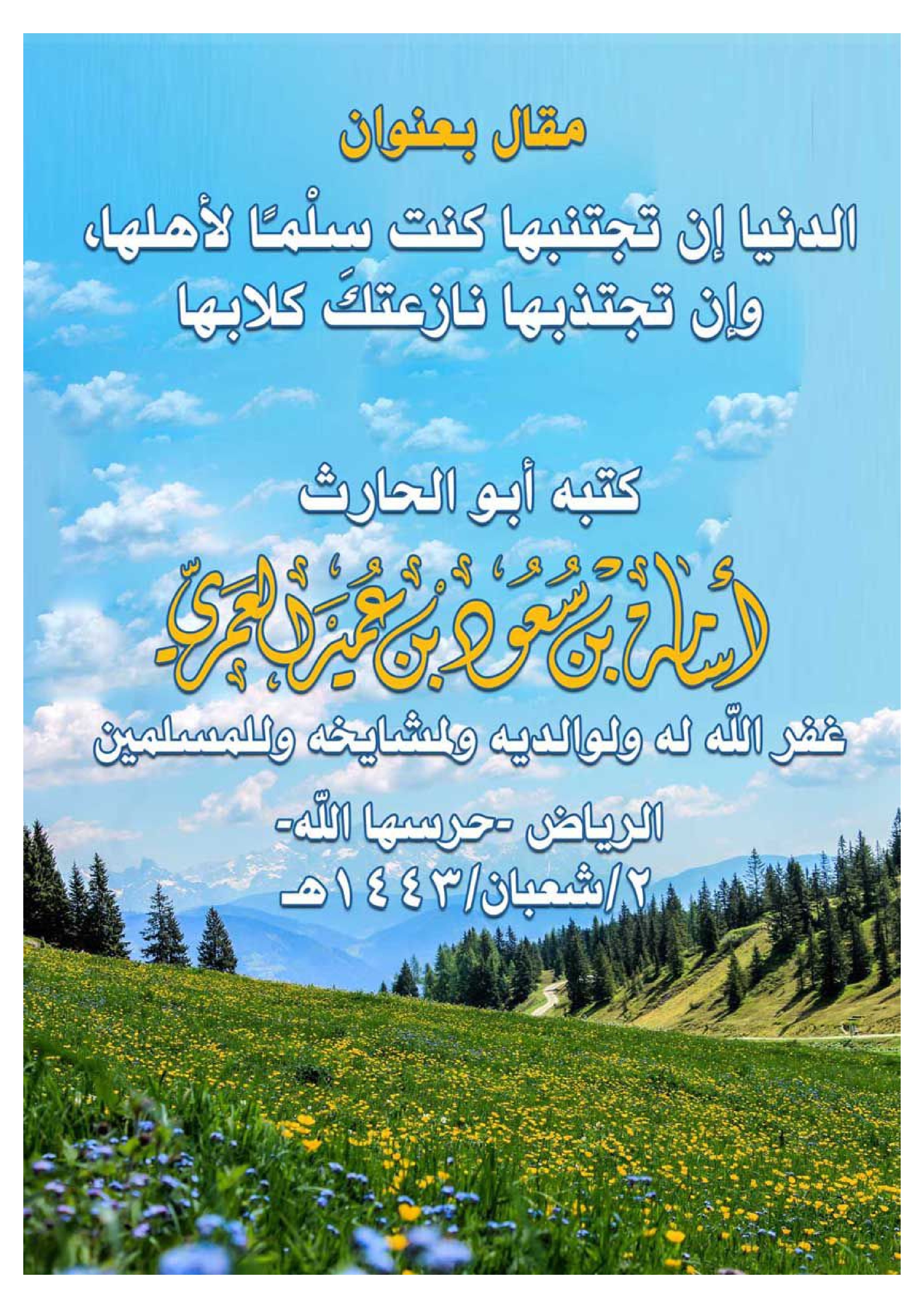

مقال بعنوان
الدنيا إن تجتنبها كنت سلْمًا لأهلها،
وإن تجتذبها نازعتكَ كلابها
كتبه أبو الحارث
أسامة بن سعود بن عمير العمري
غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين
الرياض -حرسها الله-
٢/شعبان/١٤٤٣هـ

مقال بعنوان:

«الدنيا إِن تَجْتَنِبْهَا كُنْتَ سِلْمًا لأَهْلِها، وَإِن تَجْتَذِبْهَا نَازَعَتْكَ كِلَابُهَا»

كتبه

أبو الحارث أسامة بن سعود بن عمير العَمْري

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

الرياض-حرسها الله- ليلة السبت ٢/ شعبان/ ١٤٤٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسولنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد ثبت عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ ﷺ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللهُ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ» رواه ابن ماجه برقم (٤١٠٢)، والحاكم (٤ / ٣١٣) وقال: (صحيح الإسناد).

قال النووي رحمه الله في «الأربعين النووية»: (حديث حسن رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة)(١).

وقال ابن حجر رحمه الله في «بلوغ المرام» (ص٥٤١): «وَسَنَدُهُ حَسَنٌ».

وصححه الألباني رحمه الله في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» برقم (٩٤٤).

هذا الحديث الشريف أحد الأحاديث التي نصَّ أهل العلم –رحمهم الله – على أنه من أصول السنن، كما قال الحافظ ابن عبد البر الأندلسي المالكي رحمه الله في كتاب «التمهيد» (٩/ ٢٠١):

(رُوِّينَا عَنْ أَبِي دَاوُدَ السِّجِسْتَانِيِّ رحمه الله أَنَّهُ قَالَ: **أَصُولُ السُّنَنِ فِي كُلِّ فَنٍّ أَرْبَعَةُ أَحَادِيثَ:**

أَحَدُهَا: حَدِيثُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى».

---

(١) قال السخاوي رحمه الله في «الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر» (٢/ ٩٤٤): «أمَّا قولُ الشَّيخ: إنه حديث حسن، فلعلَّه اعتضدَ عنده بطُرقه الموصولة والمنقطعة، لأن مخارجها مختلفة، ولأنه أيضًا مِنْ فضائلِ الأعمال، ولكثرة شواهد الركن الأول في الكتاب والسنة وأقوال السلف، وكذا الركن الثاني، ويزداد بشاهدِ الحسن والتجربة.

وأما قولُه: بأسانيدَ حسنةٍ، ففيه نظر، لأن ظاهره أنَّ كلَّ إسنادٍ منها على انفراده حَسَنٌ، وليس كذلك، لأنَّه ما مِنْ إسناد منها إلا وفيه رواةٌ لا يوصَفُ حديث كل منهم بالحسن مع الانفراد، فيحمَل قوله: على أن كلَّ واحد منها يُوصَف بالحسن لا لدلالته، بل باعتبار الصُّورة المجموعة التي حملت كلامهُ أولًا عليها».

وَالثَّانِي: حَدِيثُ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَ ذَلِكَ أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ» الْحَدِيثَ.

وَالثَّالِثُ: حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يَعْنِيهِ».

وَالرَّابِعُ: حَدِيثُ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللهُ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ**»).

قال القاضي عياض المالكي ﷺ في «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (٥/ ٢٨٤):

(وقد نظمها أبو الحسن طاهر بن مفوز في بيتين بقوله:

عمدة الدين عندنا كلمات ... أربع من كلام خير البرية

اتق الشبهات وازهد ودع ... ما ليس يعنيك واعملن بنيةٍ).

*** معاني الحديث، وشيء من مسائله:**

- **قال شيخنا ابن عثيمين** ﷺ **في «شرح الأربعين النووية»** (ص٣١٨): (وقوله: «**دُلني عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلتُهُ أَحَبَّنِي الله، وَأَحبَّنِي النَّاس**»: هذا الرجل طلب حاجتين عظيمتين، أولهما محبة الله عزّ وجل، والثانية محبة الناس).

- **وقال شيخنا عبد المحسن العبَّاد -حفظه الله- في «فتح القوي المتين في شرح الأربعين»** (ص١١١): «أصحابُ رسول الله ﷺ أحرصُ الناس على كلِّ خير، وأسبقُ الناس إلى كلِّ خير، وقد حرص هذا الصحابيُّ على معرفة ما يجلبُ له محبَّةَ الله ومحبَّة الناس، فسأل النَّبيَّ ﷺ هذا السؤال».

- «**قوله: (ازهد في الدنيا)**: (أي: كن تاركًا للدنيا ومُعْرِضًا عنها، (زهد في الأمر): إذا أعرض عنه، و (زهد عن الأمر): إذا مال إليه، بخلافِ رَغِبه، فإن لفظة (رَغِبَ) إذا كان بعدها (في) معناه: مال إليه، وإذا كان بعدها "عن" معناه: أعرض عنه) [١].

---

(١) «المفاتيح في شرح المصابيح» (٥/ ٢٨٦).

- **قال شيخنا ابن عثيمين رحمه الله في «شرح الأربعين النووية» (ص٣١٩): (والدنيا: هي هذه الدار التي نحن فيها، وسميت بذلك لوجهين:**

الوجه الأول: دنيا في الزمن.

الوجه الثاني: دنيا في المرتبة.

فهي دنيا في الزمن لأنها قبل الآخرة، ودنيا في المرتبة لأنها دون الآخرة بكثير جداً، قال النبي ﷺ: "لَموضِعُ سوطِ أَحَدِكُم في الجَنَّةِ خَيرٌ مِنَ الدُّنيَا وَمَا فيهَا" وقال النبي ﷺ:"ركعَتَا الفَجرِ خَيرٌ مِنَ الدُّنيَا وَمَا فيهَا".

إذاً: الدنيا ليست بشيء، ولذلك لا تكاد تجد أنه يمر عليك شهر أو شهران أو أكثر إلا وقد أصبت بالسرور ثم أعقبه حزن.

وما أصدق وصف الدنيا في قول الشاعر:

فيومٌ علينا ويومٌ لنا ... ويومٌ نُساءُ ويومٌ نُسَرُّ).

- قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رحمه الله: (الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا قِصَرُ الْأَمَلِ.

وَعَنْهُ رِوَايَةٌ أُخْرَى: أَنَّهُ عَدَمُ فَرَحِهِ بِإِقْبَالِهَا، وَلَا حُزْنِهِ عَلَى إِدْبَارِهَا"، فَإِنَّهُ سُئِلَ عَنِ الرَّجُلِ يَكُونُ مَعَهُ أَلْفُ دِينَارٍ، هَلْ يَكُونُ زَاهِدًا؟ فَقَالَ: نَعَمْ. عَلَى شَرِيطَةِ أَنْ لَا يَفْرَحَ إِذَا زَادَتْ، وَلَا يَحْزَنَ إِذَا نَقَصَتْ)[(١)].

- قال ابن القيم رحمه الله في «مدارج السالكين» (٢/ ١٢):

(سَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ - قَدَّسَ اللهُ رَوْحَهُ - يَقُولُ: الزُّهْدُ تَرْكُ مَا لَا يَنْفَعُ فِي الْآخِرَةِ. وَالْوَرَعُ تَرْكُ مَا تَخَافُ ضَرَرُهُ فِي الْآخِرَةِ، وَهَذِهِ الْعِبَارَةُ مِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي الزُّهْدِ وَالْوَرَعِ وَأَجْمَعِهَا).

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ١٣).

- وقال أيضًا رحمه الله في «الفوائد» (ص١١٨):

(وَالْفرق بَينه وَبَين الْورَع: أَن الزّهْد ترك مَا لا ينفع فِي الْآخِرَة، والورع ترك مَا يخْشَى ضَرَره فِي الْآخِرَة، **وَالْقلب الْمُعَلق بالشهوات لَا يَصح لَهُ زهد وَلَا ورع**).

- وفي قوله: «**وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ**»: قال المناوي رحمه الله في «فيض القدير» (١/ ٤٨١): («وازهد فيما عند الناس» منها «يحبك الناس» لأنَّ قلوبهم مجبولة على حبها مطبوعة عليها، ومن نازع إنسانا في محبوبه كرهه وقلاه، ومن لم يعارضه فيه أحبه واصطفاه.

ولهذا قال الحسن البصري: لا يزال الرجل كريمًا على الناس حتى يطمع في دنياهم، فيستخفون به، ويكرهون حديثه.

وقيل لبعض أهل البصرة: من سيدكم؟ قال: الحسن، قال بم سادكم؟ قال: احتجنا لعلمه واستغنى عن دنيانا).

- ومما يروى من شعر الإمام الشافعي رحمه الله في هذا المعنى قوله:

وَمَنْ يَذُقِ الدُّنْيَا فَإِنِّي طَعِمْتُهَا ... وَسِيْقَ إِلَيْنَا عَذْبُهَا وَعَذَابُهَا

فَلَمْ أَرَهَا إلا غُرُوْرًا وَبَاطِلًا ... كَمَا لَاحَ فِي ظَهْرِ الفَلَاةِ سَرَابُهَا

وَمَا هِيَ إلا جِيفَةٌ مُسْتَحِيْلَةٌ ... عَلَيْهَا كِلَابٌ هَمُّهُنَّ اجتِذَابُهَا

فَإِن تَجْتَنِبْهَا كُنْتَ سِلْمًا لأَهْلِهَا ... وَإِن تَجْتَذِبْهَا نَازَعَتْكَ كِلَابُهَا[١]

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في «مجموع الفتاوى» (١/ ٣٩):

(وَالْعَبْدُ كُلَّمَا كَانَ أَذَلَّ لله وَأَعْظَمَ افْتِقَارًا إلَيْهِ وَخُضُوعًا لَهُ: كَانَ أَقْرَبَ إلَيْهِ، وَأَعَزَّ لَهُ، وَأَعْظَمَ لِقَدْرِهِ، فَأَسْعَدُ الْخَلْقِ: أَعْظَمُهُمْ عُبُودِيَّةً للهِ.

---

(١) «ديوان الشافعي» (١٣١)، وانظر: «التعيين شرح الأربعين» لنجم الدين الطوفي (ص ٢٣٢)..

وَأَمَّا الْمَخْلُوقُ فَكَمَا قِيلَ: احْتَجْ إلَى مَنْ شِئْتَ تَكُنْ أَسِيرَهُ، وَاسْتَغْنِ عَمَّنْ شِئْتَ تَكُنْ نَظِيرَهُ، وَأَحْسِنْ إلَى مَنْ شِئْت تَكُنْ أَمِيرَهُ، وَلَقَدْ صَدَقَ الْقَائِلُ:

بَيْنَ التَّذَلُّلِ وَالتَّدَلُّلِ نُقْطَةٌ ... فِي رَفْعِهَا تَتَحَيَّرُ الْأَفْهَامُ

ذَاكَ التَّذَلُّلُ شِــــرْكٌ ... فَافْهَمْ يَا فَتًى بِالْخُلْـــــفِ

فَأَعْظَمُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ قَدْرًا وَحُرْمَةً عِنْدَ الْخَلْقِ: إذَا لَمْ يَحْتَجْ إلَيْهِمْ بِوَجْهِ مِنْ الْوُجُوهِ، فَإِنْ أَحْسَنْتَ إلَيْهِمْ مَعَ الِاسْتِغْنَاءِ عَنْهُمْ: كُنْتَ أَعْظَمَ مَا يَكُونُ عِنْدَهُمْ، وَمَتَى احْتَجْتَ إلَيْهِمْ - وَلَوْ فِي شَرْبَةِ مَاءٍ - نَقَصَ قَدْرُكَ عِنْدَهُمْ بِقَدْرِ حَاجَتِك إلَيْهِمْ، وَهَذَا مِنْ حِكْمَةِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، لِيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ للهِ وَلَا يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ.

وَلِهَذَا قَالَ حَاتِمٌ الْأَصَمُّ، لَمَّا سُئِلَ فِيمَ السَّلَامَةُ مِنْ النَّاسِ؟

قَالَ: أَنْ يَكُونَ شَيْؤُك لَهُمْ مَبْذُولًا وَتَكُونَ مِنْ شَيْئِهِمْ آيِسًا، لَكِنْ إنْ كُنْتَ مُعَوِّضًا لَهُمْ عَنْ ذَلِكَ وَكَانُوا مُحْتَاجِينَ، فَإِنْ تَعَادَلَتْ الْحَاجَتَانِ تَسَاوَيْتُمْ كَالْمُتَبَايِعَيْن لَيْسَ لِأَحَدِهِمَا فَضْلٌ عَلَى الْآخَرِ وَإِنْ كَانُوا إلَيْك أَحْوَجَ خَضَعُوا لَك. فَالرَّبُّ سُبْحَانَهُ: أَكْرَمُ مَا تَكُونُ عَلَيْهِ أَحْوَجُ مَا تَكُونُ إلَيْهِ. وَأَفْقَرُ مَا تَكُونُ إلَيْهِ)[1].

- وفي «فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام» لشيخنا ابن عثيمين ﵀ (٦/ ٣٤١):

(**ومن فوائد الحديث**: أن من لم يزهد في الدنيا وتعلق بها وصارت أكبر همه[2]، فإن ذلك من أسباب انتفاء محبة الله عنه وهذا من المفهوم.

ومن فوائد الحديث: الحث على الزهد في الدنيا لأنها إذا كانت سبباً لمحبة الله فلا ينبغي للعاقل أن يفوت هذا.

(١) تكراماً –لا– أمراً، أرجو من إخواني قراءة هذا الفصل من «مجموع الفتاوى» (١/ ٣٩) وما بعده، ففيه تأصيل نافع لمسألة حاجة الناس إلى الناس.

(٢) وصحَّ الحديث عند الترمذي برقم (٣٥٠٢) من دعاء رسول الله ﷺ "ولا تَجْعلِ الدُّنيا أكبرَ هَمِّنا"، قال الطيبي ﵀ في «شرح المشكاة» (٦/ ١٩٢٨): «فيه أن قليلاً من الهم لابد منه في أمر المعاش المرخص، بل مستحب».

من فوائد الحديث: أنه ينبغي للإنسان أن يسعى فيما يكون سبباً لمحبة الناس له دليل هذا أن الرسول صلى الله عليه وسلم أقر الرجل على قوله بحب الناس وإلا لقال له: ما يهمك من حب الناس أحبوك أم كرهوك، لكن ينبغي للإنسان أن يفعل بكل ما يستطيع كل وسيلة توجب أن يحبه الناس وفضل الله يؤتيه من يشاء، أحياناً لا يملك الإنسان حتى يفعل ذلك لكن ينبغي للإنسان إذا لم يكن ذلك من طبيعته أن يتطبع به).

ولقد ثبت عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ، الْغَنِيَّ، الْخَفِيَّ» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ برقم (٢٩٦٥).

- قال أبو العباس القرطبي المالكي في «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (٧/ ١٢٠): (والغني: يعني به: من استغنى بالله، ورضي بما قسم الله له، وقيل: يعني به غنى النفس، والخفي: يعني به الخامل الذي لا يريد العلو فيها، ولا الظهور في مناصبها).

- قال الصنعاني رحمه الله في «سبل السلام» (٢/ ٦٥٠): (... التَّقِيُّ: هُوَ الْآتِي بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ الْمُجْتَنِبُ لِمَا يُحَرَّمُ عَلَيْهِ، وَالْغِنَى: هُوَ غِنَى النَّفْسِ، فَإِنَّهُ الْغِنَى الْمَحْبُوبُ قَالَ ﷺ: «لَيْسَ الْغِنَى بِكَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ»، وَأَشَارَ عِيَاضٌ إلَى أَنَّ الْمُرَادُ بِهِ غِنَى الْمَالِ، وَهُوَ مُحْتَمَلٌ[1]، وَالْخَفِيُّ بِالْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ، وَالْفَاءِ أَيْ الْخَامِلُ الْمُنْقَطِعُ إلَى عِبَادَةِ اللهِ، وَالِاشْتِغَالِ بِأُمُورِ نَفْسِهِ).

---

(١) قال الطحاوي رحمه الله في «شرح مشكل الآثار» (١٥/ ٣٢٣): «أَنَّ الْغِنَى الْمَذْكُورَ... لَيْسَ هُوَ الْغِنَى بِالْمَالِ، وَكَيْفَ يُظَنُّ ذَلِكَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَدْ رَوَى عَنْهُ أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ: " مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي أُحُدًا ذَهَبًا يَأْتِي عَلَيَّ لَيْلَةٌ، وَعِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ، إِلَّا دِينَارًا أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ، أَوْ أَقُولُ بِهِ فِي عِبَادِ اللهِ هَكَذَا، وَهَكَذَا، وَهَكَذَا "، وَلَكِنَّ الْغِنَى الْمَذْكُورَ ...-وَاللهُ أَعْلَمُ- غِنَى النَّفْسِ الْقَاطِعِ عَنِ الْمَالِ الَّذِي يَقْطَعُ عَنْ طاعاتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَيَشْغَلُ الْقُلُوبَ عَمَّا سِوَاهُ، وَيَقْطَعُهُ عَنْهُ،... فَالْغِنَى الْمَحْمُودُ -في الحديث- هُوَ الْغِنَى الَّذِي تَتَفَرَّغُ بِهِ الْقُلُوبُ عَنِ الدُّنْيَا، وَعَنِ الِاهْتِمَامِ لَهَا، وَتُقْبِلُ مَعَهَا إِلَى أَضْدَادِ ذَلِكَ، مِمَّا يَحْمَدُهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَهْلِهِ».

- **وختاما من الأدعية المأثورة عنه** ﷺ: أنَّه كان لا يقوم من مجلسه إلَّا دعا بهذا الدُّعاء:

«اللَّهم اقسِمْ لنا من خَشْيَتِكَ ما تَحُولُ به بَينَنَا وبينَ مَعَاصِيكَ، ومِنْ طَاعَتِكَ ما تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتك، ومنَ اليَقِينِ ما تُهَوِّنُ به علينا مَصَائِبَ الدُّنْيَا، ومتِّعْنَا بأسماعِنَا وأبصارِنَا، واجْعَلْ ذلك الوَارِثَ مِنَّا، وانْصُرْنَا على مَنْ عَادَانَا وظَلَمَنَا، **ولا تجعل مُصِيبَتَنَا في دِينِنَا، ولا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، ولا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، ولا تُسَلِّطْ علينا من لا يَرْحَمُنَا، يا أرحم الراحمين**»، رواه الترمذي برقم (٣٥٠٢).

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

أبو الحارث أسامة بن سعود بن عمير العَمْري

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

الرياض -حرسها الله- ليلة السبت ٢/ شعبان/ ١٤٤٣هـ